الحرب بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة...

كل الدول دعاة حروب! الحل الوحيد للبشر هو الأممية!

"أكبر ضربة جوية لطائرات B-2 في التاريخ" هذه هي الكلمات التي استخدمها الجنرال دان كاين، رئيس أركان القوات المسلحة الأمريكية، لوصف قصف عدة مواقع نووية إيرانية خلال ليلة 21-22 يونيو، ما يبرز الطابع التاريخي لهذا الحدث. فقد شاركت في العملية 125 طائرة حربية، بالإضافة إلى استنفار غواصة وعدد من السفن الحربية، وتم إطلاق 75 صاروخاً دقيق التوجيه وإسقاط 14 قنبلة من طراز GBU-57 المخصصة لاختراق التحصينات، وكل ذلك خلال ساعات معدودة، في عملية أسميت بعملية "مطرقة منتصف الليل"، وبذلك أعلنت الولايات المتحدة عودتها الدراماتيكية إلى الحرب.

لم يُعرف بعد حجم الدمار وعدد الضحايا في كلٍّ من إيران وإسرائيل منذ اندلاع الأعمال القتالية في 13 يونيو، إلا أن القوة النارية المستخدمة كانت هائلة ومدمّرة، وفي اللحظة التي كان يُطبع فيها هذا المنشور، وصلتنا أنباء عن إعلان "وقف إطلاق نار" من قبل أطراف النزاع، وذلك بعد ضربات إيرانية على قواعد أمريكية، بينما لا تزال الصواريخ تنهمر من الجانبين للحظة.

الشرق الأوسط يهوي نحو الهمجية والفوضى

وفقًا للدعاية الحربية، فإن قصف إيران يُعد نجاحًا هائلًا: لقد تم إضعاف نظام الملالي بشكل دائم وقد ينهار كلياً، كما أن إسرائيل وأمريكا قد أنهتا التهديد النووي، وستفرضان السلام والأمن في الشرق الأوسط.

كل هذه أكاذيب! الشرق الأوسط سيستمر في السقوط نحو الفوضى، فوضى ستؤثر على العالم بأسره، وبينما تعجز الجمهورية الإسلامية عن الرد المباشر، محشورةً في الزاوية، فإذن هي لن تتردد في نشر الهمجية حيثما استطاعت، وتفعيل كل الجماعات المسلحة الخاضعة لها، بل وحتى اللجوء المكثف إلى الإرهاب، وحدها التهديدات التي تطلقها إيران بشأن مضيق هرمز الاستراتيجي، كفيلة بأن تُظهر أن الأزمة الاقتصادية العالمية ستتفاقم، ومعها التضخّم.

وإذا لم ينجُ نظام الرعب للملالي، فستكون العواقب بعد سقوطه مروّعة تمامًا كما كانت فترة حكمه: ستنقسم البلاد بين أمراء الحرب، وستدور دوامة من الانتقام بين الفصائل المختلفة، وستظهر جماعات إرهابية أكثر تسليحًا وخطورة من داعش، وستحدث موجات نزوح جماعي للسكان.

هذه ليست نبوءة كارثية، بل درس استُخلص من جميع الحروب التي شهدها العالم خلال العشرين سنة الماضية. ففي عام 2003، أدّى الغزو الأمريكي للعراق، والذي كان من المفترض أن يوجّه ضربة قاتلة لـ"محور الشر" ويفرض سلامًا أمريكيًا على المنطقة، إلى تحويل البلاد إلى ساحة من الخراب تتقاتل فيها الجماعات المسلحة والعصابات بشكل مستمر. وفي عام 2011، انزلقت سوريا المجاورة إلى حرب أهلية، شاركت فيها جماعات إرهابية مسلّحة مثل داعش، وقوى إقليمية مثل تركيا وإيران وإسرائيل، وقوى عالمية مثل الولايات المتحدة وروسيا. وفي عام 2014، التحقت اليمن بهذه الرقصة المروّعة، والنتيجة: مئات الآلاف من القتلى وبلاد مدمّرة، وفي عام 2021، عاد أفغانستان إلى قبضة طالبان بعد عشرين عامًا من الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة من أجل... الإطاحة بطالبان.

في نهاية عام 2023، شنّت حركة حماس هجومًا إرهابيًا وحشيًا نادرًا ضد المدنيين الإسرائيليين، وردّ

الجيش الإسرائيلي بوحشية غاشمة، مطلقًا حملة تدمير شامل في قطاع غزة تحوّلت بسرعة إلى إبادة جماعية صريحة، وفي الأشهر التالية، انتشر الفوضى بوتيرة لا تُصدّق: في مواجهة حلفاء حماس، شن نتنياهو هجومًا دمويًا على جميع الجبهات، في لبنان وسوريا والآن في إيران. في الجوهر، الديناميكية نفسها تتكرّر في أوكرانيا، السودان، مالي، وجمهورية الكونغو الديمقراطية. العالم الرأسمالي يغرق في فوضى ممزقة بالحروب: كما هو الحال في غزة ولبنان في الأشهر الأخيرة، فإن أي "وقف لإطلاق النار" في إيران سيكون مؤقتًا وهشًا، يتم التوصل إليه فقط للتحضير لمجازر جديدة. "حرب الأيام الاثني عشر" (وهو الاسم الرسمي الذي أُطلق على أحدث فصول الحرب في إيران) مستمرة منذ ما يقارب الخمسين عامًا، وقد ازدادت سوءًا بشكل كبير لعقود قادمة...

حرب ذات عواقب كارثية على مستوى العالم

ستُضعف الحرب مع إيران خصوم الولايات المتحدة الرئيسيين: روسيا، التي تعتمد على الطائرات المسيّرة الإيرانية في أوكرانيا، وكذلك الصين، التي تحتاج إلى النفط الإيراني وإلى الوصول إلى الشرق الأوسط لمشروع "طريق الحرير الجديد"، أما بالنسبة لعملية "مطرقة منتصف الليل"، فهي تُظهر مرة أخرى التفوق المطلق للجيش الأمريكي القادر على التدخل بشكل واسع في الطرف الآخر من العالم وسحق جميع أعدائه، هذه الضربات تحمل رسالة واضحة إلى الصين، تمامًا كما كانت القنابل الذرية التي أُسقطت على اليابان عام 1945، إنذارًا موجهًا بالدرجة الأولى إلى روسيا.

لكن هذا الاستعراض للقوة ليس سوى انتصار مؤقت لن يحل أي نزاع، ولن يُهدئ من جشع باقي القوى الإمبريالية، على العكس تمامًا، بل ستتزايد التوترات في كل مكان، وسيسعى كلّ نظام، سواء كان كبيرًا أم صغيرًا، وكلّ عصابة برجوازية، إلى استغلال الفوضى للدفاع عن مصالحها الدنيئة، مما سيُفاقم الفوضى في العالم، أما الصين على وجه الخصوص، فلن تقف مكتوفة الأيدي، وستُظهر قوتها عاجلًا أم آجلًا، سواء في تايوان أو في أماكن أخرى.

مرة أخرى، هذه دروس نستخلصها من التاريخ، فمنذ سقوط الاتحاد السوفييتي عام 1991، أصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم، ولم يعد هناك تكتلات عالمية تفرض على الدول الحليفة شكلاً من الانضباط والنظام، بل على العكس، كل دولة باتت تلعب بأوراقها الخاصة، وبالتالي أصبحت كل تحالفاتها هشة ومؤقتة، مما يجعل الوضع أكثر فوضى وصعوبة في السيطرة، لقد أدركت الولايات المتحدة هذه الديناميكية التاريخية الجديدة على الفور، ولهذا السبب أطلقت حرب الخليج عام 1991، كاستعراض للقوة لتوجيه رسالة إلى الجميع: "نحن الأقوى، وفرضٌ عليكم أن تطيعونا"، ولم يكن إعلان بوش الأب عن "النظام العالمي الجديد" يعني شيئًا دون ذلك، ومع ذلك، بعد عامين فقط، في عام 1993، دعمت فرنسا صربيا، ودعمت ألمانيا كرواتيا، بينما وقفت الولايات المتحدة إلى جانب البوسنة، في حرب انتهت بتمزيق يوغوسلافيا.

الدرس واضح ولم يتغير منذ خمسة وثلاثين عامًا: كلما ازدادت المعارضة للهيمنة الأمريكية، ازدادت الولايات المتحدة شراسة في ضرباتها... وكلما اشتدت ضرباتها، زادت المعارضة وانتشرت حالة "كل واحد لنفسه" في أنحاء العالم، وعلى المستوى الإقليمي، ينطبق الأمر نفسه على إسرائيل. بمعنى آخر، فإن الحرب في إيران ستُسرّع من وتيرة الفوضى والاضطراب عبر الحروب بشكل أكبر، وستُصبح آسيا بؤرة التوترات الإمبريالية العالمية، عالقة بين طموحات الصين المتزايدة والتواجد العسكري الأمريكي المتنامي بوتيرة ضخمة.
فالبرجوازية الأمريكية تُدرك تمامًا أن هذه المنطقة باتت اليوم المسرح الرئيسي الذي يجب أن تتركّز فيه غالبية قواتها المسلحة.

"لا مَلِكٌ"، "فلسطين حُرّة"، "أوقفوا الإبادة الجماعية": إن المستقبل الوحيد للرأسمالية هو الحرب!

في مواجهة هذه الفظائع التي لا توصف، وفي ظل المجازر الشاسعة، يشعر كثير من الناس بالحاجة إلى التحرك، إلى الصراخ بغضب، إلى التجمّع معًا، ليقولوا:

"كفى". وهذا أمر ضروري بالفعل، لأنه **إذا تركنا الأمور تمضي دون مقاومة، وإذا لم نتحرك، فإن الرأسمالية ستجرّ البشرية جمعاء إلى مقبرة جماعية ضخمة**، وسلسلة من النزاعات المتناثرة، الخارجة عن السيطرة، والتي تزداد دموية يومًا بعد يوم، العديد من أولئك الذين يرغبون في الرد ينزلون اليوم إلى الشوارع في حركات "مناهضة للحرب" متعددة: "لا للملوك"، "فلسطين حرة"، "أوقفوا الإبادة الجماعية"، وكلها تحظى بدعم قوى يسار الرأسمال.

لكن الشعارات التي تطرحها قوى اليسار، حتى تلك التي تبدو في ظاهرها الأكثر راديكالية، ما هي إلا فِخاخ تنتهي دائمًا إلى تحميل مسؤولية الحروب لهذا الزعيم أو ذاك: لنتنياهو، أو حماس، أو ترامب، أو بوتين، أو خامنئي... وفي النهاية، إلى الاصطفاف خلف أحد الأطراف ضد الآخر، ومن خلال خطابها المنافق عن "السلام"، و"الدفاع عن الديمقراطية"، و"حق الشعوب في تقرير المصير"، تسعى القوى المسيطرة على رأس المال إلى خداعنا، بإيهامنا بأن الرأسمالية يمكن أن تكون أقل عدوانية، أكثر إنسانية، وأن كل ما نحتاجه هو انتخاب "الممثلين المناسبين" و"الضغط على القادة" من أجل إحلال السلام العالمي وإقامة علاقات "أكثر عدلًا" بين الدول الرأسمالية، لكن كل هذا لا يؤدي في النهاية إلا إلى تبرئة النظام الرأسمالي نفسه من الديناميكية الحربية التي يغرق فيها بالكامل، بجميع دوله، وبجميع عصاباته البرجوازية، دون استثناء.

لا شك أن ترامب ونتنياهو وخامنئي قادة متعطشون للدماء. لكن المشكلة التي نواجهها لا تكمن في هذا القائد أو ذاك، بل في النظام الرأسمالي نفسه، فبغض النظر عن الفصيل البرجوازي الذي يتولى السلطة؛ سواء كان يساريًا أو يمينيًا، ديمقراطيًا أو استبداديًا، فجميع الدول، دون استثناء، تنتهج سياسة الحرب، وذلك لأن الرأسمالية تغرق في أزمة تاريخية لا مخرج لها منها: فالمنافسة بين الدول تتصاعد باطراد، وتزداد شراسة، وتفلت أكثر فأكثر من السيطرة. هذه هي الحقيقة التي يحاول اليسار أن يخفيها، من خلال ترويج أوهام عن إمكانية "إصلاح" النظام أو جعله "أكثر إنسانية"، وهذا هو الفخ الذي يقع فيه أولئك الذين يشاركون في هذه التجمعات، معتقدين أنهم يحاربون الحرب، بينما هم في الواقع يُعاد توجيه غضبهم ليخدم نفس النظام الذي يُنتج الحروب ويغذيها.

إدانة كل هذه الحركات باعتبارها فخاخًا قد تُفاجئ، بل وتُغضب الكثير من الأشخاص الذين يريدون بصدق أن يتحركوا في وجه المجازر الشاسعة: "إذن، أنتم تعتقدون أنه لا يمكن فعل شيء؟" "أنتم لا تفعلون سوى الانتقاد، لكن لا بد من القيام بشيء ما"!

نعم، لا بد من القيام بشيء، لكن ماذا بالتحديد؟

لإنهاء الحروب، لا بد من إسقاط الرأسمالية

يجب على جميع العمال في كل بلدان العالم أن يرفضوا الانسياق وراء الخطاب القومي، و يجب أن يرفضوا الانحياز إلى أي معسكر برجوازي، سواء في الشرق الأوسط أو في أي مكان آخر، يجب أن يرفضوا خداعهم بخطابات تدعوهم إلى إظهار "التضامن" مع شعب معين، بهدف غسل أدمغتهم وتحريضهم ضد "شعب" آخر، تعبيرات مثل "الفلسطينيون الشهداء"، "الإيرانيون الذين يتم قصفهم"، "الإسرائيليون المرعوبين"، كلها تخدم غرضًا واحدًا وهو حبس الناس في منطق الاصطفاف الوطني، واختيار أمة على حساب أخرى، في كل الحروب، على جانبي الحدود، تقوم الدول بتجنيد الشعوب عبر إيهامهم بأنهم يخوضون صراعًا بين قوى الخير وقوى الشر، بين الهمجية والحضارة، كله كذب! **فالحروب دائمًا صراع بين دول متنافسة، بين برجوازيات متناحرة، وهي دائمًا نزاعات يموت فيها المُستغَلّون من أجل مصالح مُستغِلّيهم.**

"إيرانيون"، "إسرائيليون"، "فلسطينيون" بين كل هذه الجنسيات يوجد مستغِلّون ومستغَلّون، وبالتالي، فإن تضامن البروليتاريا لا يكون مع "الشعوب" بشكل عام، بل يجب أن يكون مع المستغَلّين في إيران، وإسرائيل، وفلسطين، تمامًا كما هو مع العمال في جميع بلدان العالم، لا يمكننا أن نُقدّم تضامنًا حقيقيًا لضحايا الحرب من خلال التظاهر من أجل رأسمالية سلمية وهمية، أو من خلال دعم أحد المعسكرات بحجة أنه "يتعرض للهجوم" أو "أضعف"، ضد آخر يُقال إنه "المعتدي" أو "الأقوى"، إن التضامن الوحيد الحقيقي هو في إدانة جميع الدول الرأسمالية، وجميع الأحزاب التي تدعو الناس إلى الاصطفاف خلف هذا العلم الوطني أو ذاك، أو خلف هذه القضية العسكرية أو تلك!

يتطلّب هذا التضامن، قبل كل شيء، تطوير نضالاتنا ضد النظام الرأسمالي المسؤول عن جميع الحروب، وضد البرجوازيات الوطنية ودُوَلها.

أظهر التاريخ أن القوة الوحيدة القادرة على إنهاء الحروب الرأسمالية هي الطبقة المستغَلّة، البروليتاريا، العدو المباشر للطبقة البرجوازية، كان هذا هو الحال عندما أطاح عمال روسيا بالدولة البرجوازية في أكتوبر 1917، وعندما ثار العمال والجنود في ألمانيا في نوفمبر 1918: فقد أجبرت هذه الحركات العمالية الكبرى الحكومات على توقيع الهدنة.

كانت قوة البروليتاريا الثورية هي التي أنهت الحرب العالمية الأولى! ولا يمكن تحقيق السلام الحقيقي والدائم في كل مكان إلا من خلال إطاحة الطبقة العاملة بالرأسمالية على نطاق عالمي.

أمامنا طريقٌ طويل، واليوم يمر عبر تطوير النضالات ضد الهجمات الاقتصادية المتزايدة الشدة التي يشنها علينا نظام غارق في أزمة لا مفر منها، من خلال رفض تدهور ظروف حياتنا وعملنا، ورفض التضحيات المستمرة باسم تنافسية الاقتصاد الوطني أو بناء الجهد الحربي، نبدأ بالوقوف في وجه جوهر الرأسمالية: استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، في هذه النضالات، نقف معًا، ونطوّر تضامننا، ونتحاور وندرك قوتنا عندما نكون متحدين ومنظمين.

بدأت البروليتاريا تسير في هذا الطريق الطويل خلال صيف الاستياء - Summer of Discontent في المملكة المتحدة عام 2022، وخلال الحركة الاجتماعية ضد إصلاح التقاعد في فرنسا في أوائل 2023، وأثناء الإضرابات في قطاعات الصحة وقطاع صناعة السيارات في الولايات المتحدة عام 2024، وفي الإضرابات والتظاهرات التي استمرت لأشهر وما زالت مستمرة حتى الآن في بلجيكا، تمثّل هذه الديناميكية الدولية عودة تاريخية لنضال العمال، ورفضًا متزايدًا لتقبل التدهور الدائم في ظروف المعيشة والعمل، واتجاهًا نحو الوحدة عبر قطاعات العمل و عبر الأجيال كعمال في نضال واحد، بغض النظر عن الجنسية أو الإثنية أو الدين.

سيُنتقد البعض الثوار أحيانًا بالقول: "في مواجهة الحرب، تقترحون عدم القيام بأي شيء، وتأجيل النضال ضد المجازر التي تحدث أمام أعيننا إلى أجل غير مسمى!" اليوم، لا تملك نضالات البروليتاريا القوة الكافية لمواجهة الحرب بشكل مباشر؛ وهذه حقيقة واقعة، لكن هناك طريقان ممكنان: إما أن نشارك في ما يسمى بحركات "السلام الآن" ونسمح لأنفسنا أن نُسلّم أسلحتنا في النضال من أجل رأسمالية "أكثر عدلًا" و"أكثر ديمقراطية"، وبالتالي نُساهم في الأيديولوجيات التي تدعم التطور العام للإمبريالية بدفعنا إلى دعم الأمة أو المعسكر أو العصابة التي توصف بأنها "الأقل سوءًا" أو "الأكثر تقدمية"، أو يمكننا، بصبر، أن نشارك من خلال النضالات على أرضية طبقتنا العمالية في إعادة بناء تضامننا وهويتنا، والعمل نحو حركة تاريخية هي الوحيدة القادرة على اقتلاع جذور الحرب والفقر، والقوميات والاستغلال: الرأسمالية، **نعم، هذا النضال طويل! نعم، سيتطلب ثقة كبيرة في المستقبل، وقدرة على مقاومة الخوف واليأس الذي تريد البرجوازية أن تزرعه فينا، ولكنه الطريق الوحيد للمضي قدمًا!**

للمشاركة في هذه الحركة، يجب أن نتّحد، أن نناقش، أن ننظّم، أن نكتب ونوزّع المنشورات، وندافع عن الأممية البروليتارية الحقيقية والنضال الثوري، ضد القومية، وضد الحروب التي يريد مستغِلونا جرّنا إليها، فإن الشعارات القديمة لحركة العمال، تلك التي وردت في البيان الشيوعي عام 1848، تظل اليوم أكثر أهمية من أي وقت مضى:

"العمال لا وطن لهم!

يا عمال العالم اتحدوا"!

لدفع النضال الطبقي للبروليتاريا الأممية للأمام!

التيار الشيوعي الأممي (International Communist Current)

24 يونيو 2025